

النقد البلاغي في نيجيريا: عرض لبعض البحوث الأكاديمية في بعض الجامعات النيجيرية

إدريس أبو بكر أرغنج

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على رسوله محمد أفصح العرب الذي أمره بالتبليغ ما أنزل إليه وبلغه كما يبلغ, وأفصح الذين وعيوا التبليغ وبلغوها إلى سلفهم فبلغ الذين جاءوا من بعدهم بلوغا متراميا.

وبعد: فهذه المقالة عبارة عن إبراز بعض الجهود التي بذلها النشء لدعم الثقافة العربية لفهم لغة القرءان لغة الضاد في هذه الديار إذ أن أوائلها خلفوا ثروات ضخمة عزموا على إحيائها وصيانتها من الضياع لأهميتها ولما كانت وسائل هذا لأحياء متفاوتة لكثرة فنون اللغة وأصنافها يعزم هذا البحث لإعطاء فكرة عن تلك الجهود من ناحية البلاغة العربية, وسوف تسلط هذه المقالة أضواء على مساهمة بذلها بعض المواطنين إبان حياتهم الطلابية التي لا يستهان بها وتستحق تحقيقات ليعرف أهميتها بصدد دراسة هذه اللغة لتعلقها بديننا الحنيف.

تتكون المقالة النقاط الآتية بعد المقدمة:

- بين البلاغة والنقد.

- تطور البلاغة والنقد في الدراسة الأدبية في نيجيريا.

- عناية المعاهد العليا النيجيرية بدراسة البلاغة والنقد.

- نماذج من المساهمات في النقد البلاغي

- الخاتمة.

- بين البلاغة والنقد:

فكلمة البلاغة تنتمي إلى أسرة من الكلمات غير تلك التي تنتمي إليها كلمة النقد.

فمن أقرباء البلاغة "بلغ" أي وصل إلى الغاية, و"بلّغ" أي أوصل إليها, و"بالغ" أي تجاوزها.

فالبلاغة إذن هي إيصال المعنى كاملا. والكلام البليغ هو الذي تتوفر له هذه الصفة, والإنسان البليغ هو الإنسان المتصف

ببلاغة التعبير.

وعلوم البلاغة هي مجموعة القواعد المستخلص من نماذج الكلام البليغ¹.

فالبلاغة فن مؤسس على تذوق المعنى والأساليب والصور المستنبط في الكلام انتظاما طبيعيا يحقق الإمتاع والإقناع معا. وأما النقد فهو النظر في المعاني والأساليب الأدبية من أجل إبراز محاسنها وكشف أسرارها، وتمحيصها والتنبيه إلى ما قد يكون فيها من قصور أو ضعف في بعض مواضعها. فبهذا نعرف أن النص الأدبي هو موضوع البلاغة بما يحويه من فكرة وخيال وصور وأفلاظ، وقيمتها تكمن من جماله ووضوحه وتعبيره عن المعنى بما يوافق حال المخاطب، ويعبر عن غرض وشعور المتكلم، والبلاغة إبلاغ الأفكار والمشاعر من المتكلم إلى المخاطب في صورة جميلة مؤثرة منسجمة اللفظ والمعنى².

فالنقد هو الذي يبين للقارئ والسامع ما أجريت من تلك الأنماط، وقد قام طلاب في إعطاء مساهماتهم على هذا بالخصوص. وقبل الوقوف على تلك إن المتكلم لا بد أن يعزم على ما يرمي بقوله سواء الخالق أو المخلوق وتصويرات وأحاسيس يبدو منها ذلك على السواء فالبلاغة تءتى والنقد تقبل.

- تطور البلاغة والنقد في الدراسة الأدبية في نيجيريا:

إن تطور الفنون: البلاغة والنقد، لم يكن في أن واحد في نيجيريا إذ يرجع هدف دراسة اللغة العربية وجميع غنوها في نيجيريا إلى فهم دين الإسلام لا غير، ولذلك نجد الذين درسوا العربية وآدابها مثل شعر الشعراء الجاهليين بمعانيه وأساليبه وأفكاره هدفوا إلى ما يزيدهم فهما للقرآن الكريم، ولذلك نجد أنهم يميلوا إلى النقد الذي تأصل من الجاهليين كما روت لنا كتب الأدب وعملوا على ترقية زهيرتهم العربية ولم يكونوا الناقدين نقد الجاهليين إلا بعد تطور أقرضهم ونظمهم للشعر العربي وكتابة نثر على دأب العرب الذين تأثروا بإنتاجتهم.

وعلى الرغم أن العلماء النيجيريين هم الأدباء ولذا جميع ما انتاجوا التي فيها اللغة والبلاغة يعرف بالأدب لا غير، لكن القرءان الكريم والحديث النبوي هما مرجعان اللذين يعملون بهما مصدرا لجميع قريحتهم اللغوية، وفي بدئ الأمر لم يقيم الدارسين بتطلع على أعمالهم إلا بعد وجود معاهد علمية مختارة بسابقتها في هذه الديار مع أننا نعرف أن القرن التاسع عشر الذي يعتبر عصر الذهبي عصر الذين استيقظوا من سباتهم من الروية التي لزمها السابقون أنهم عاجزون من اختراع جديد، فاتفقوا بعد ذلك وأتوا بما لا يستهان بها، وعلى سبيل المثال إن انتاجات المجدد الشيخ عثمان بن فودي والوزير عبدالله بن فودي وابنه محمد بلو بن عثمان بن فودي، وإخوانه مصطفى وسنبو وراجي وغيرهم، كانوا لا يرضون بالرؤية الأولى التي ترى باب الاجتهادة في اللغة وغيره، ولذا عملوا بالفعل وانتجوا انتاجات لا بأس بها فذه كلها مما أدى إلى تطور النقد الأدبي في هذه الديار³. وقام الذين جاءوا من بعد هؤلاء برغبة تطلع على أعمالهم، وخاصة حين عنى المواطنون بإنشاء المدارس الحديثة إضافة إلى حلقات العلوم التي كثرت فيما بين عصر الإستعمار والإستقلال والحديث، وكثرت أيديهم على عملية النقد لإستزادة الفهم والوعي والتوسيع لما قام به السابقون لهم. وأما القرءان الكريم

والحديث النبوي فلم يتركوهما في من أعمال تقدم النقدى كما سيأتي في نماذج لما قام به الطلاب الموهوبون في معاهد العلمية لا سيما الجامعات.

- عناية المعاهد العليا بدراسة البلاغة والنقد في نيجيريا:

يرجع إنشاء معاهد العليا في نيجيريا لدراسة اللغة العربية إلى الثلاثينيات من القرن العشرين الميلادي, واستمرت إلى يومنا هذا فقد لعبت تلك المعاهد أدوارا في مساعدة الطلبة أهل الغيرة على اللغة على مستوياتهم متشعبة: الدبلوم, وشهادة التربية في نيجيريا, والليسانس, والماجستير, والدكتوراه. وكلّ هذه المستويات عني بها دراسة اللغة العربية وإجراء البحوث عليها في مختلف الفنون لها, مع أننا نستطيع أن نضع أيدينا عليها, ولكن سوف نتطلع على بعد تطورات في المستويات الثلاثة الأخيرة من الفنون البلاغة الثلاثة التي هي:

علم البيان, والمعاني, والبديع التي عني بدرستها تلك المعاهد, وأن هذه الفنون تكون في منهج أبحاث لتلك المعاهد كما تدور حول آداب اللغة في القرآن الكريم والحديث الشريف. وقد بذلت هذه الجامعات جهودها في تثبيت تمكيناتها لتحقيق الأغراض والمقاصد التي تراد غايتها في تعليم اللغة.

وعلى سبيل الإحصائيات التي أجريت في قائمة البحوث والرسائل الجامعية التي حرّرت عن الجامعات الآتية: جامعة إبادن, وجامعة إلورن, وجامعة لاغوس, في جنوب نيجيريا, وجامعة عثمان بن فودي, وجامعة بايرو, كنو, وجامعة أحمد بلو زاريا, وجامعة ميدوغري في شمال نيجيريا. فإن عدد البحوث في اللغة العربية يبلغ الف بحث (1000) في مختلف فنون العربية⁴. ومن هذا العدد يوجد نصفها في الدراسة التحليلية الفنية تتعلق بجوانب البلاغة العربية.

زد على ذلك البحوث التي خصصت في مباحث الفنون البلاغة المذكورة: علم المعاني, هو الذي لها مباحث خصائص التراكيب اللغوية والعلاقات المعنوية بينها, وعلم البيان, الذي هو استحضار الصور المؤثرة والموضحة للمعاني, وعلم البديع الذي هو إظهار التناسب الصوتي الإيقاعي والمعنوي بين الفقرات والعبارات في الكلام الأدبي⁵. وقد قام الجامعات النيجيرية بعناية فائقة على تنسيقها وضبطها وتقومها لدعم المكتوبات العربية من المجهودات التي يبرزها طلابها الموهوبون.

- نماذج من مساهمات أكاديمية في النقد البلاغي:

قد ساهم عدد من الباحثين في البلاغة والنقد في حياتهم الطلابية, يريد الباحث أن يلقي ضوءا عليها كنماذج للبحث الذي هو بصدد تقديمه:

بحوث البلاغة في القرآن:

قام بعض الطلبة بتقديم بحوث في مباحث علوم البيان في القرآن الكريم لإبراز طاقاتهم وفهمهم للبلاغة لتطويرها في الدراسة اللغوية الجارية في نيجيريا بمنزلة اسهام أكاديمي ودعم المكتبة العربية, ومثال ذلك ما قدمه الباحث على مستوى الماجستير يعرف بـ "كبير ثاني صالح" بعنوان: صور من المجاز المرسل في القرآن الكريم, قدمه إلى قسم اللغة العربية بجامعة بايرو كنو, عام 1990م, لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية تحت إشراف د. هارون رشيد يوسف, وقد قام الباحث, بمعالجة قضية المجاز واستعماله في كلام العرب, كما ناقش أدلة المشبتهين والمنكرين لوقوعه في القرآن الكريم وتواصل إلى رأي وسط وتحدث عن وقوع المجاز في القرآن وسر إعجازه فيه. ثم درس دور المذاهب العقدية في تصوير المجاز, وأورد صوراً من الأساليب الواقعة في القرآن الكريم.

فبهذا أبرز الباحث أن المجاز من أحسن الوسائل البيانية التي تهدي إليها الطبيعة لإيضاح المعنى وإخراجه متصفاً بصفة حسية تكاد تعرض على عيان السامع لهذا شغفة العرب باستعمال المجاز لميلها إلى اتساع في الكلام وإلى الدلالة على كثرة المعاني الألفاظ لما فيه من الدقة في التعبير فيحصل للنفس به سرور وراحة, فكثرت في الكلام العرب لطائف المجاز وحقق القرآن الكريم لهم ذلك حتى أتوا فيه بكل معنى رائق وزينوا به خطبهم وأشهارهم على ضوء كتاب العزيز.

وبعض في العلم المعاني, كبحث "إبراهيم مُجَّد ذاکر" بعنوان: القصر وأساليبه في القرآن الكريم, قدم بحثه في نفس القسم والجامعة عام 1996م, لنيل شهادة الدكتوراه في اللغة العربية تحت إشراف البروفيسور علي نائي سويد. وقد تناول الباحث في رسالته هذه حديثاً عاماً عن البلاغة من حيث النشأة والتطور, وعرف القصر وأقسامه وطرقه, ثم اتبع منهج الاستقراء والاستقصاء والتحليل, متمشياً مع مبدأ التفصيل بعد الإجمال, فاستخرج الآيات التي تحمل في ثناياها أساليب القصر وحلل كل أسلوب من هذه الأساليب تحليلاً بلاغياً.

وقد حاول الباحث أن يحلّل الشروط المتعلقة بطرق القصر بملاحظاته المرغوبة فيه بالدقة والدراية العميقة عن الطرق للقصر البلاغي الخمسة:

الأول, أنه يشترط في كل من "بل" و"لكن" أن تسبق بنفي أو نهي وأن يكون المعطوف بهما مفرداً, وأن تقتزن "لكن" بالواو. الثاني, ويشترط في "لا" أفراد معطوفها وأن تسبق بإثبات, وأن يكون ما بعدها داخلاً في عموم ما قبلها. وأما الثالث فقد أشار أن يكون للقصر "إنما" مزية على العطف لأنها تفيد الإثبات للنفي والنفي عن غير دفعة واحدة. وأما الرابع, فكلم عن التقديم بأنه يدل على القصر بطريق الذوق السليم والفكر الصائب. والخامس أسحب الكلام عن التقديم ما حقه التأخير بأن الأصل أن يتأخر المأمور على عاملة إلا لضرورة.

واستدل عن هذه كلها بشواهد ملائمة من آي الذكر الحكيم وتحليلها تحليلاً بلاغياً.

وهكذا قام بعضهم بأبحاث في مباحث علم البديع، وهذا كله من مصداق أنّ للقرءان الكريم الأثر البالغ في تطور البلاغة العربية ونقدها كما جاء في كتاب الدكتور مُجّد زغلول سلام⁶.

بحوث البلاغة في الحديث النبوي:

وكذلك قام بعض الطلبة ببحوث في مباحث البلاغة المذكورة آنفاً، ومن ذلك ما قام به "عبدالرحمن شنت" في بحثه لنيل درجة الدكتوراه بعنوان: أساليب الإنشاء في صحيح البخاري، قدم هذا الطالب رسالته عام 2007م بقسم اللغة العربية جامعة عثمان بن فودي صكتو، استعمل الباحث في علمه الذوق والفكر العميق في تحليل النصوص الإنشائية والنقد البلاغي في الكتاب، وذلك في علم المعاني.

قد ذكر الباحث على إخراج النوعين من الإنشاء: الطلي وغير الطلي وحللها تحليلاً ملائماً أنتج في نهاية المطاف أن الأحاديث النبوية بمثابة الدائرة المعارف للغة العربية، إذ تنسيق منها جل وجوهها.

وكما قام مُجّد كبروا ببحثه لنيل درجة الماجستير بعنوان: صور بيانية في أحاديث كتاب النجم الثاقب دراسة بلاغية، قدم هذا البحث عام 2006م بقسم اللغة العربية جامعة عثمان بن فودي صكتو، اعتمد في دراسته على الذوق في توضيح المعاني البلاغية من النصوص الواردة في الكتاب.

فوضع أنواع التشبيه والمجاز والاستعارة والكناية وأهم مناطقها في البلاغة واستشهد بالنصوص الواردة في الكتاب الذي اتخذه محوار الدراسة ووصل أن التصوير البياني عمده من الأحاديث النبوي بأي شكل وحلل ذلك تحليلاً ملائماً.

وأما في الأدب فقدم الطلاب في جامعات عديدة من البحوث في البلاغة والنقد على السواء فمن ذلك من قدم لعلماء دولة عثمانية، ومن قدم لعلماء بعدهم حتى المعاصرين في مبحث العلوم البلاغية الثلاثة، وتمثل منها ببحث، غرب حسن مصطفى، بعنوان: بلاغة القصر في ديوان إفادة الطالبين لمحمد بلو بن فودي، قدمه لقسم اللغة العربية جامعة عثمان بن فودي صكتو عام 2012م، لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية، وقد بذل جهوده في دراسة بعض أشعار مُجّد بلو بالتحليل البلاغي. ومنها حاول لتقدير النصوص الشعرية في البلاغة العربية واستخراج منها جميع طرق القصر الخمس مع الإشارة إلى أن الطرق التي ذكرها بعض ما عدا هذه الخمسة قد ظهرت في أشعار أمير المؤمنين مُجّد بلو لكنه اكتفى بالخمسة المشهورة وعليها حلل وعالج عمله وأنتج في الأخير أن جميع الطرق الخمسة ظهرت في أشعار الشاعر إلا أداة "إنما" هي التي لم تظهر.

وكذلك قام الطالب كبير ثاني عبدالله ببحثه بعنوان: الشيخ يحيى بن مُجّد النفاخ حياته وشعره، قدم هذا البحث لقسم اللغة العربية بجامعة بايرو كنو، لنيل درجة الماجستير، عام 1983م، وقد قام بترجمة كاملة لحياة الشيخ ثم عرض موجز لبعض أشعاره في المديح والثناء، والتصوف، فحللها تحليلاً بلاغياً، وبين قيمتها الفنية⁷.

وهكذا طلاب اللغة العربية في جامعات نيجيريا بتقديم مساهماتهم العلمية في هذا المجال بالخصوص.

الختامة:

عرضت المقالة بتأصيل البلاغة والنقد، وذكر خصائصها وعلاقتها في الأدب العربي، وبينت كيف تطور الأدب العربي في نيجيريا، والراود الذين اتبعوا آثارهم بالجد والدراسات فأحيوا العلم من حلقات العلوم إلى زمن انشاء معاهد حكومية، فتطورت بتجريح الطلاب الذين عملوا بالفعل لتحرير علوم البلاغة من بين الفنون العربية للمواطنين النيجيري حتى أصبحت لهم مميزات مما يذكر في العالم. وهذا مما يدل أن اللغة العربية لغة عاشت في هذه الربوع من القارة الإفريقية واعتنقت بها أهاليها وعلموها بالجد والمواظبة لفهم لغة القرآن الكريم. وأن التعليم العربي في نيجيريا يتميز بتعليمها في المشرق إذ الغرض الوحيد لتعليمها هنا هو معرفة دين الإسلام بخلاف كون ذلك في المشرق العربي فإنهم يتفاخرون بها لغة التحدث والمواصلات أحسنو بها العقيدة أم لا.

الهوامش والمصادر:

- 1 - الدكتور حسن شاذلي فهدود وغيره، البلاغة والنقد، وزارة المعارف المملكة العربية السعودية، 1987م/1407هـ.
- 2 - د. الجقندي عبدالسلام وغيره، المرشد في طريق التدريس العامة، كلية الدعوة الإيلامية طرابلس، 2001، ص 256.
- 3 - د. علي أبوبكر، الثقافة العربية في نيجيريا، دار الأمة لوكالة المطبوعات، د.ت، ص 285-360.
- 4 - غرب حسن مصطفى، احصائيات البحوث الجامعية في البلاغة، مقالة مقدمة في مؤتمر إدارة المدارس الثانوية العربية في ولاية كب، برنين كب، 2005م ص 1-5.
- 5 - شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف بمصر، 1965م، ص 253.
- 6 - يوسف نور عوض، تطور الأساليب النقدية في الأدب العربي، ط 1، مكتبة الأنجلو المصرية، د.ت، ص 117.
- 7 - بيبولوجرافية الرسائل العلمية المقدمة إلى قسم اللغة العربية بجامعة بايرو، كنو-نيجيريا، من عان 1978م إلى عام 1997م.